الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
بين الأصالة والإدارة

المدرس الدكتور
حسين الشريفي
جامعة بليتون الأمريكية

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بين الأصالة والإدارة

المدرس الدكتور
حسين الشريفي
جامعة بليتون الأمريكية

عندما نستعرض أكثر الدراسات كانت اكاديمية أو حوزوية بحياة اولياء الله الذين كانوا المظهر الصادق الكامل للانقياد والخضوع لأوامر الله وارادته لم نجد في قاموس اللغة العربية لفظا كافيا في التعريف والتعبير عن شخصية أبا الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام بعيدا عن العاطفة والانتماء والغلو. وطمعا في ربح مادي أو معنوي لنيل جائرة معنوية بل الواقع والحقيقة لتلك الشخصية بالزهدة والتقشف والورع فهو زاهد الزهاد وبدل الآباد قد جمع الأضداد والف بين الاشتات وهذه من فضائل عجائبه الفريدة وخصائصه الوحيدة.

ان الفترة الزمنية في الحركة التاريخية السياسية التي لم تتجاوز اربع سنوات ونصف السنة ركز فيها من خلال القران الكريم والسنة النبوية الشريفة وما ورد من نصوص تاريخية وظهرت معالمها بوضوح من خلال الخطب التي وردت في نهج البلاغة والذي ركز فيها وصورها تصويرا رائعا وواضحا وجليا لوصاياه وارشاداته وتعليماته للعاملين معه في مختلف مجالات وافاق السياسة العامة لإدارة الدولة الإسلامية في حقول المعرفة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية وكل ما يتعلق بأمور الدولة في الميادين المعرفية الأخرى لذى بات من الضروري ان يتناول بحثنا نظرة تحليله فاحصة للبناء الإداري في الإسلام من خلال التصدي للجوانب الفكرية والسلوكية التي اطرها الامام علي عليه السلام بوصيته الذائعة الصيت لعامله(مالك ابن الحارث الاشتر النخعي) عندما ولاه امارة مصر، اننا نتناول هذه الوصية بالتمحيص

والتحليل والاستنتاج من زاوية تخصصية محضة في الإدارة السياسية.إذ إن كثير من الباحثين والاختصاصيين لربما يتصدى كل منهم حسب اختصاصه في أبواب علميه شتى في الدراسات العلمية وآفاقها وحسب الرؤى لتلك الاختصاصات في هذا المضمار وقد خصصنا هذا البحث للجانب الإداري من فكره الجبار لما فيه من الفائدة العلمية والعملية للمجتمعات البشرية لما تعاني منه الإنسانية في هذه الفترة الزمنية من تعقيدات الحياة الإدارية الذي يعاني منه سكان تلك البلدان من الضغوطات النفسية والاختلافات السياسية والاجتماعية والتفاوت الاقتصادي بحث انقسم العالم إلى مجموعتين متناقضتين الأولى (غنية مترفة) الأخرى (فقيرة بائسة) وازدادت الهوة بينهما يوماً بعض يوم واستغل الاغنياء الفقراء مادياً ومعنوياً. لقد استمد الفكر الإداري في سياسة أبا الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام من روح الإسلام رصانته الفلسفية والعقائدية من الله سبحانه وتعالى متجسداً ذلك بالقرآن الكريم كمرتكز فكري وعقائدي للدين الإسلامي الحنيف وقد اطرت السنة النبوية الشريفة ذلك البناء العقائدي عملياً وتطبيقاً من خلال ممارسات السلوكية التي ارسى دعامها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله باعتباره اللسان الناطق للقرآن الكريم والسلوك التطبيقي لترجمة نصوصه وافاقه الفكرية ويشكل نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام فكراً ساطعاً لذلك الفكر على الصعيد التطبيقي ميدانياً اثناء خلافته بالكوفة والتي شكلت أكثر معطيات البناء الفكري والعقائدي اثراً في حياة المجتمع الإسلامي آنذاك ومن هنا يتضح بجلاء ان تأصيل حركة البحث العلمي في الكوفة يشكل بذاته افاقاً رحبة في مختلف ميادين العلم...المعرفة واذا نبع الفكر والإداري الحديث من الكوفة وتألق في ربوعها لازالت معاملة الرحبة في ثنايا التاريخ ويتعرض اليها الباحثون والاقتصاديون لإظهار حقائقه الفلسفية والفكرية الا بنزر محدود.

لقد وجد الباحثون في بطون الكتب المغمور منه وصفقة الفكر أكثر تطور مما هي عليه الآن في الولايات المتحدة الأمريكية والبلدان الاوربية ولعلِ أكن متأقلماّ لحضارة المسلمين عبر الحقب التاريخية التي تمتد لأكثر من ١٤٠٠عام أنها حضارة فكرية في علم الإدارة الحديث الذي لم يمضي عليه لحد الآن أكثرمن١٠٠ عام بعد ظهور الثورة الصناعية في اوروبا بكتابات (فردريك تايون، وماكس وبير، وهنري فايول، ألتون مايو، وكلص مكريكور، ومارج سايمون الخ....)وغيرهم ممن هم حديثو العهد بالبناءات الفكرية والإدارية والتنظيمية المتطورة وفقاً لإبداعات العمل الميداني والتجارب المختبرية والعقلية...)) والسؤال الذي يطرح نفسه الآن..؟ كيف اذن لما هو عليه في علم الإدارة الآن لن يرتقي إلى علم الإدارة منذ أكثر من ١٤٠٠ عام ويكون أكثر تطورا لعلم الإدارة الحديث....!؟.

ولغرض الإجابة على هذا السؤال لابد من التعرف على علم الإدارة(management –science)ان الإدارة كما تم تعريفها علم وفن (science and art) وهو علم يستمد من النظريات الفلسفية والفكرية في إدارة المجتمع ومنظماته الإنسانية المختلفة،وفن يعتمد على صيغ ذلك التعامل مع البشر باعتبار الإنسان الفرد حصيلة متفاعلة من المتغيرات الموروثة والمكتسبة والتي تلعب البيئة بمختلف جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية والثقافية دورها في التأثير والتأثر على ذلك الفرد أو الجماعة أو المجتمع. ان التشكيلات التي صنفها الامام عليعليه السلام في تشكيلات الدولة والكيان الاجتماعي بالهياكل الرئيسية لإدارة البلد واطلق عليهم اسم العمال. وهم بمثابة المحافظين ورؤساء الدوائر العامة في البلد والمشرفين على الاعمال الإدارية والقريبين من الحاكم في إدارة البلاد بكافة تنوعاتهم حسب العرف والتسميات التي سادت في عصرنا الحالي فهم طبقة واسعة من المجتمع

لهم نفوذ سياسي وإداري واجتماعي وقد قال فيهم عليه السلام:

((ثم أنظر في أمور عمالك فأستعملهم اختبارا ولا تولتهم محابات وأثره، فإنهما جماع ومن شعب الجور والخيانة، وتوخ فهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم اكرم أخلاقاً وصح اعراقاً وأقل في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً))[1].

ومن خلال هذه الخطبة بدأ الإمام عليه السلام بالجانب الإداري أو ما نعبر عنه قرارا إدارياً حول شروط تعيين رؤساء الوحدات الإدارية وذلك بملاحظة وتشخيص من له الأهلية في تسنم هذه المناصب أو القائمين عليها فأعطاه صور الاختبار الصحيح وخوله العمل وبما ذلك. وما أن بحثنا في الأصالة والإدارة لابد أن نسلط الضوء في هذا الشأن وعلاقة ذلك في بناء المجتمع ومسيرته.

طبيعة اختيار العمل:

لقد وضع أبا الحسن عليه السلام تعين الموظفين يتطلب خصالاً وصفات تتناسب وطبيعة الأعمال والوظائف كما هو الحال في الدراسات الرجل المناسب في المكان المناسب.

فالإمام عليه السلام يضع هنا الضوابط الرئيسية لاختيار العمال منها.

١- أن يكون من أهل الخبرة والتجربة والقدرة على الذين امتحنوا في الأعمال. وحسب اختصاصه. كالقاضي وغيرها.

٢- الذين يتولون أمر الأمة إدارياً وسياسياً يجب أن يكونوا من أهل العلم في الأصول العائلية المعروفة بأخلاقها وسمعتها الطيبة عند الناس. ولهم تأريخهم المشرف.

٣- لهم السبق والقدم في الإسلام. الذي يتعلق بعدة نقاط أساسية ترتبط بتلك الفقرات أعلاه.

عندما يعدل الوالي عن المستحق إلى غير المستحق فأنه جور على المستحق الذي أزيح عن مكانه وأستلم غيره ممن هو دون المسؤولية في الأمانة على الأمة. وهذا ينطبق على الدولة التي تعرضت إلى فساد إداري لعدم التزامها بتعيين الولاة الفاسدين وما يحصل في زماننا هذا. وهو خيانة لمن ائتمنه وخوله الصلاحية لاختيار الإنسان المؤمن الطاهر القادر على إدارة شؤون الدولة العامة للمجتمع. وجعل محله من لا أهلية له بتلك الأعمال المهمة.. أنها خيانة عظمى للمبادئ التي يؤمن الولي وخيانة عظمى لولي الأمر الذي وضع الأمر بين يديه فال إيجور تسليط على حياة الناس. من لا تخشى غائلته ولا يحسن أداء عمله ولا يؤتمن على مال ولا نفس والشواهد التاريخية كثيرة. على ما جرت التولية غير الصحيحة من دواهي وآفات غزت المجتمع ونخرت في عظمه فاصبح خاوياً لا يستطيع الوقوف على قدميه إذا لم يهلك أو تهلك حرمته ثم تبع تولية المحاباة والقربى من تحريف للحقائق وبناء مجتمعات ضالة جاهلة جرت الويلات والمصائب على الدولة الإسلامية العظيمة كما عمل معاوية بن أبي سفيان في بلاد الشام وكذلك من جاءوا بعده وعلى هذا الأساس غير الإمام علي عليه السلام في وصف (جُماع من شعب الجور والخيانة).

ان من الوسائل المهمة لجلب السعادة للفرد والمجتمع ورفع الشقاء عنهما بحيث يسود الاستقرار والراحة والطمأنينة في البلاد هو القانون العادل واعتدال الموظف الإداري المستقيم الذي يتولى تطبيقه في الناس ونقصد بالاعتدال هو نزعه حسب العدالة والأمانة والصدق والاخلاص والنزاهة والعفة التي يجب أن تكون شعار الموظف الإداري ودثاره قبل غيره[٢] وعلى ضوء كل الشواهد والحوادث التاريخية أشار أبا الحسن عليه السلام ((توخ أهل السهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة)).

هذه معاني الاخلاق ذاتها وهي المصادر الحقيقية للأفراد الذين يقدمون خدمة ومنفعة.. ونلاحظ في عالمنا المعاصر أن الدولة أو الحكومات تضع شروطاً في تعيين الموظفين المستخدم منها الخبرة ولياقة والدرجة العلمية وحسن السلوك والسيرة. وغيرها أملاً في الخدمة الحقيقة للمجتمع. أما لماذا يضع أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الشرط المتقدم أثناء الاختبار يجيب الامام عليه السلام على ذلك:

١- اكرم أخلاقاً.

٢- أصح اعراضاً.

٣- أقل في المطامع أشرافاً .

٤- أبلغ في عواقب الأمور نظراً.

في هذه النقاط الأربعة تتحقق العدالة للمجتمع والراحة والطمأنينة وهذه الصفات لم تأت بصورة اعتباطية للأفراد ولم تكن معاني ملحقة على الوجوه حتى يتطبعون عليها ويسيرون على هداها أنما لهو أصول وجذور عميقة أنتجت تلك المزايا الأخلاقية فمن لا أصل له لا فرع له إذن نلاحظ ارتباط المعاني كما ذكرنا فالصفات الخلقية الاربعة الأخيرة مرتبطة كامل الارتباط بنوعية الناس الذين يجب أن تكون أزمة الأمور بيدهم.

فالأخلاق الحميدة تأتي من الأصول الكريمة ومن الذين غرس الإسلام في قلوبهم الرحمة والمحبة والتآخي والتعاطف والمأثرة والتضحية والتي تعطي لجماعة الناس الصفاء والمحبة والترابط فتكون الصفات الخلقية عامل استقرار وسعادة للمجتمع ومن يسعد ويستقربه المقام وتطيب نفسه لا تهمه المطامع الدنيوية ولا تزال به قدمه نحو الانحراف. فالاستقرار النفسي والاطمئنان والثقة لدى الأفراد هي عوامل دفع في ثبات التعامل الإيجابي الأخلاقي لدى المجتمعات، فالاختيار الأصلح يجب أن يكون من خلال الصفات التي طرحت

والتي يتعد كل التوجسات الخفية والحذر من حدوث الخلل في الجهاز الإداري وكذلك تمتع التكالب على الفوز بمطمع دنيوي حتى وأن كان صغيراً، وأجمل ما ذكر الإمام علي عليه السلام وكل كلامه ذات أبعاد بلاغية جميلة. هو كرم الاخلاق الذي يعطي شيئياً لينتج أفضل شيء وهذا يأتي أيضاً من النسب الطاهر وصحة الأعراض من حيث وجودها في البيوتات الصالحة والشجرة الطبية توتي أكلها كل حين فالأساس المتين يعطي بناءً قوياً والتربية السليمة الصحيحة تعطي أخلاقاً فاضلة لدى الأفراد في الكبر والأمراض الاجتماعية ان كافحتها في الصغر تعطيك مجتمعاً صحيحاً قوياً في المستقبل. هنا هو العنصر المهم في البناء التربوي والأخلاقي والبناء الإسلامي الحقيقي. في الصغر داخل نطاق الأسرة والمجتمع بصورة أعم وأن ذلك يعطينا أفراداً صالحين في المجتمع يزيدونه صلاحاً وتآلفاً وتعاوناً ومحبة ويجنب المجتمعات الانحرافات والجرائم.

الأمانة وأداء حقها:

الصفات المحمودة لم تمنع علي عليه السلام أن يلفت ولاته إلى بعض الإجراءات الإدارية التي تحدد العمال عند تحركهم السلبي أو الاتجاه المنحرف واتخاذ الإجراءات الشرعية بحق المنحرف منهم. فالغاية الأساسية ليست رضاء العمال لدى علي عليه السلام أنما رضا الله عز وجل الذي سوف يحاسب المسيئين بحق خلق الله لان الناس هم عيال الله. إن الباري عز وجل يراقب عمل عباده ثم أن المجتمع عامة أمانة لدى الحاكم أو الولي أو خليفة المسلمين «ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها إنها عُرضت على السموات المبنية والأرضين المدحية والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض، ولا أعلى ولا أعظم منها، ولو أمتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عزّلا امتنعن ولكن أشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن وهو الإنسان (إنه كان ظلوماً جهولاً)[٣].

المشروع السياسي وغيره:

إن مسألة قيادة الولايات وتعيين العمال عند الإمام عليه السلام كانت لا تتبع إلى المزايدة، والمناقصة وترطيب الأجواء وتهدئة الخواطر واستمالة العواطف وتسكين الأوضاع حتى تستقر الأمور مؤقتاً حينئذٍ ينقض على فريسته، أليس أصحاب الفطرة الاستبدادية وأتباع المنهج الميكافيلي يحملون على أبا الحسن عليه السلام بأنه ليس سياسياً وإلا لخدع ومارس مبدأ الغاية تبرر الوسيلة بحق معاوية وغيره حتى تستقر أمور البلاد.

كلام يفكر بذلك مطلقاً ولا يكون كذلك لأنه ليس ميكافيلي المذهب ولا أرستقراطي الطبقة بحيث ينظر إلى مجتمعه كعبيد ولا يتعامل بقلبين ولسانين وليس له في الدنيا طمع أو أستثار ألم يكن هو القائل ((أن هذا النعل هو خير عندي من ولايتكم هذه إن لم أقم حقاً وأزهق باطلاً)) انه أمير المؤمنين عليه السلام ابن الإسلام وبطله وحاميه وعبقريته الفذة أنه جاء من أجل العدالة في المجتمع فكيف يرمي حبلها على غاربها أنها الأمانة الإلهية في عنقه فكيف يعرض عليه شراء ذمم رؤوس القوم وقادتهم واقتطاع الرواتب لهم أو تقسيم البلاد بينهم طعمة وعدم محاسبتهم!!

فأبى ذلك ورفضه أشد الرفض لأنه أساس الجور كما صرح والخيانة الأعظم لله ورسوله، ورضوان الله تعالى معناه نشر الحق والعدالة بين الرعية ومساواتهم وعدم هدر الأمور العامة بإعطائها هبة للخاصة من الناس ((فمثلاً ذاك الشخص الذي جاء اليه بعقلية هذه المساومات وأقترح عليه أن يبقي ومعاوية بن أبي سفيان والياً على الشام برهة من الزمن وهو في هذه الحالة سوف يخضع ويبايع وبعد هذا يكون بإمكانك استبداله أو تغيره بأي شخص أخر بعد أن تكون قد استقطبت كل أطراف الدولة وقد تمت لك البيعة والطاعة في كل ارجاء العالم الإسلامي بإبقاء هذا الوالي أو ذلك

الوالي، هذا الحاكم أو ذاك الحاكم بإبقاء هذه الثروات المحرمة في جيب هذا السارق أو في جيب ذلك السارق برهة من الزمن ثم بعد هذا يمكنك أن تصفي كل هؤلاء الولاة الفجرة وترجع كل هذه الثروات المحرمة لبيت المال.

فالإمام علي عليه السلام في جواب هذه الشخص، رفض هذا المنطق وأستمر في خطه السياسي يرفض كل مساومة ومعاملة من هذا القبيل، ومن هنا قال معاصروه وقال غير معاصريه أن يحقق توفيقاً من الناحية السياسية أكثر لو أنه قبل أنصاف الحلول ولو أنه مارس هذا النوع من المساومات ولو بشكل مؤقت))[٤].

إن مبدأ علي عليه السلام هو رعاية حرمات الله سبحانه وتعالى فكيف له أن يأمر بإبقاء شخص أنتهب كل شيء أو سلب كل ارادة من أهلها وقمع كل كلمة حق، وعاث في الأرض فساداً، وما هو المسوغ الشرعي لان يؤمره على أرواح وممتلكات الناس، وحفظ الرسالة المحمدية وصيانتها من الانحراف يكون بتطبيق مبادئها السامية على الخواص والعوام فلا فرق لديه بين هذا وذاك الا بالحق فالجماهير التي بايعته وولته وسارت خلفه أحق بالحماية والعدالة من غيرها، فهو يريد أن يكون هناك مجتمع سام ذو مستوى أخلاقي وحضاري عظيم، إذن لابد وأن يُعرف أن هناك فاصلة في المبادئ التي يحكمها حب الذات والسعي وراء السلطة لغرض تحقيق والمطامح والهيمنة وبين المبادئ التي تنبع من القرآن والسنة النبوية الطاهرة التي محورها أقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فشتات بين الاثنين فلا يجمع أصحابها إلا يوم تشرئب فيه الاعناق إلى الله لتأخذ الحساب بما عملته في الدنيا من خيراً وشر. فلا مساومة على الحق وأقامته وهذا قوله حين رد قطائع عثمان بن عفان وهي الأراضي الزراعية التي كانت تصرف على الفقراء من الناس سابقاً وقد قطعها لمعاوية ومروان كذلك جاء في خطبته ((والله لو وجدته قد تزوج النساء وملك به الإماء لرددته

لله فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق))[٥].

فهو لم يتخذ غير العدل منهجاً والمساوات تبين الناس سلوكاً ولم تنهره عن ذلك طوال الحرب وجعجعة السلاح والرجال والا أصوات حوافر الخيول وتألب بعض الرفقاء عليه بل معنى في طريقه القويم ليبني الإنسان والمجتمع معاً.

أن المتأمل إلى الجانب المعيشي لعمال الولايات من الضرورات التي لابد منها لإشباع حاجات العمال المعاشية والمادية حتى لا تغريهم الدنيا أو تبعث في نفوسهم السير والاندفاع باتجاه الشهوات لسد الرغبات الجامحة وفي الحقيقة لا يكون ذلك الأعلى حساب الضعفاء من المجتمع فهي امتصاص لدمائهم وهدر لحقوقهم وقد قال عليه السلام:

((لم أسبغ عليهم الأرزاق فأن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجَّةُ عليهم أن خالفوا أمركَ أو ثلموا أمانتك))[٦].

وحتى يبتعد العمال عن الرشوة والمفاسد الأخرى التي هي أساس الانحلال الإداري وخراب المجتمع ((... أمره بإسباغ الأرزاق عليهم، فأن الجائع لا أمانة له، ولأن الحجّة تكون لازمه لهم إن خانوا لا نهم قد كفو مؤنه أنفسهم وأهليهم بما فرض لهم من الارزاق))[٧].

((ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فإن تعاهُدك في السَّر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية، وتحَّفظ من الأعوان، فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى حياته اجتمعت بها عليه عندك أخيار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبتهُ بمقام المذلة وسمته بالخيانة، قلدته عار التهمة))[٨].

يوصي عليه السلام بتفقد أعمالهم ومراقبتها بدقة يبعث العيون أي المراقبين والمفتشين الذين يتحرون الاعمال بحذف وصرامة ويبحثون عن الخبايا المختزنة والأعمال المخفية والتي سببها الطمع المادي الدنيوي الذي يسلب إرادة الإنسان ويشل لب تفكيره ويبعده كامل البعد عن القرب إلى الله عز وجل، ويجعل من نفسه ظالماً لها ولغيره وان ضياع وهدر أموال الناس يأت نتيجة الغفلة قصر النظر لدى الوالي أو عدم مراقبة من هم دونه، وعدم وجود من يقوم بعملية المراقبة والتفتيش ونقل التقارير السرية والأخبار العامة عن حركة العمال وأعمالهم ومدى رضاء الرعية عنهم ولا يقوم بهذا الأمر عادة إلا الموظفون الصادقون الذي عبر عنهم الإمام عليه السلام (من أهل الصدق والوفاء لهم) إذ لا يمكن الإصلاح بالتزييف وحرف الحقائق خدمة للأغراض الشخصية، فما الفائدة إذن من المراقبة والتفتيش إذا كان الأفراد الذين يستخدمهم الوالي أناساً من أهل الباطل والكذب يزيدون المرض أمراضاً، فالمفتشون والعيون المبثوثة إذا كانوا غير صادقين ولا يخافون الله أصلاً فهذا الخراب بعينه، والمرض الجدير في حقيقة الأمر أخطر من انحراف عامل الوالي نفسه، وهذا دماره ضعفان، فإذا لا يكون لهذا المنصب الحساس الا إذا كان من أصحاب المرؤة وأهل المعرفة والصراحة والصدق وله اطلاع كامل في طبيعة حياة الناس في تنقلاتهم وعلاقتهم وبيعهم شرائهم وطرق معاملاتهم حتى يؤدي ما كلف به ونلاحظ الدقة والارتباط المتناهي كما قلت في هذه الاشارات الإدارية الصحيحة التي وضعها الإمام أبا الحسن عليه السلام في عهده ولم يوصي فقط بل قام في كثير من الأحيان بمحاسبة عماله ووبخ بعضهم وعزل البعض الأخر وقد أرسل ((... رجلاً يدعى (سعد) إلى زياد بن أبيه يأمره بأن يحمل إلى بيت المال ما عنده منه وكان قد بلغه أن زياداً يتقلب في النعيم يستأثر به على الضعيف والفقير والأرملة واليتيم وأنه يتظاهر بالفضيلة وهو عنها بعيد، فلما كان الرسول عند زياد ألح عليه، فتجبر زياد وتكبر ونهره فكتب

إلى (علي عليه السلام)).

(أن سعداً ذكر لي أنك شتمته ظالماً وجبهته تجبراً وتكبراً وقال رسول الله، الكبر والعظمة لله فمن تكبر سخط الله عليه وأخبرني أنك مستكثر من الألوان في الطعام، وأنك تدهن كل يوم فماذا عليك ولو صمت لله أياماً وتصدقت ببعض ما عندك محتسباً وأكلت طعامك في حرةٍ مراراً وأطعمته فقيراً أتطمع وأنت متقلب في النعيم تستأثر فيه على الجار المسكين والضعيف الفقير والارملة واليتيم أن يجب لك أجر وتعمل عمل الخاطئين وأن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت وعملك أحبطت...)[٩].

إذن تتبع هؤلاء العمال المراقبين السريين وتصحيح مسار الخاطئين أو الإشارة إليهم وإحساس هؤلاء العمال بتلك المراقبة السرية هو باعث لهم ودافع للاستقامة وأداء الأمانة على أحسن حال بحيث يشعر أن هناك مسؤولاً بعد الله في العالم الدنيوي هو ولي الأمر الذي يراقبه ولا يسمح له بارتكاب المحارم بشتى أنواعها وبذلك ينتقل توجهه إلى الرفق برعيته ومحاسبتهم وحسن المعاملة لهم وعدم الاخلال بالنظام العام واستغلاله أو سوء الاستفادة من المنصب المعطى إليه ونلاحظ هنا أن الهدف الواضح والمحصلة النهائية التي أراد الإمام عليه السلام أن يوضحها من هذا المقطع الذي أشار إليه سابقاً ((ثم أنظر امور عمالك فأستعملهم اختبارا وحتى نهاية جملة (فإن تعاهدك في السر لأمورهم جدوة لهم على استعمال الأمانة)).

والنقاط التي ذكرت سابقاً والترابط الموجود فيما بينها وهي صفات العمال المستخدمين للأعمال الإدارية وأسباب اختبار تلك العناصر التي أعطى الإمام عليه السلام صفاتها كلها تصب في هدف أخير مرجو وهم موضوع بحثنا الا وهو الصيغة الإدارية في أيدي تلك السلطة الموجودة أي تحت رحمتها إلى عبادة جدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية، فهذان الهدفان هما

أساس صلاح المجتمع والمحافظة على كيانه ومسيرته الصحيحة، فالأمانة هي الهدف الأول وقد أ شرنا إليها سابقاً والهدف الثاني الرعية، فالعمال المشار اليهم يحنو على رعيته ويراف ويرفق بهم ويرحمهم ويرعاهم ويعاقب المسيء ويكافئ المخلص، إذن المراقبة الجادة والحقيقة هي الباعث لهم والدافع المستمر لأداء الأمانة والرفق بالرعية التي هي المطلب الأول والأخير والذي يحفظ العامل ورعيته من الزلل المحتمل، وبالمحافظة هذه تضمن عدم فقدان عنصر إداري مهم لأنه ليس من السهولة خلق كادر إداري مجرب بسرعة سواء كان في ذلك ا لزمان أو هذا الوقت الحاضر.

إن الشيء المهم فيه والذي يسترعي النظر ويبهر العقل هو أننا نجد أثر التعليمات العالية والسديدة رغم مرور اربعة عشر قرناً عليها وملموساً وواضحاً في غاية الاصلاح والوضوح في قوانين الخدمة المدنية ذات الأهداف القانونية التي تضمنتها التشريعات الحديثة والتي استهدفت في مشروعها أصلاح نفسية الموظف وتهذيب سلوكه ليؤدي واجب (الأمانة) الملقى على عاتقه فقد لاحظ الإمام علي عليه السلام ذلك في عهده الاصلاح المملكة الإسلامية وتطهير المجتمع من أثام الخائنين والاشرار أعداء الأمة، فأننا من خلال ما تطرقنا إليه سنمر على فقرات وصيته التي تكون هي الأصالة والركيزة في بحثنا وعلى شكل نقاط:

أولاً[١٠]: ((هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر في عهده إليه حين ولاه مصر، جبابة خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها)).

يتضح من خلال إيراد المؤثرات الاربعة وهي:

أ) جبابة الخراج.

ب) جهاد العدو.

ج) استصلاح الأهل.

د) عمارة البلاد.

نلاحظ من خلال هذه المرتكزات في الحكومات القديمة والحديثة وبصورة أكثر دقة وأشمل تأكيدا منها نستند على قاعدة نطاق الأشراف (spanofcontrol) والذي كلما كان صغيراً حقق أبعاد أكثر للسيطرة والمراقبة وتحقيق الاهداف العامة ونطاق الاشراف يعني تحديد عدد المرؤوسين الذي يستطيع الرئيس السيطرة عليهم وقد أشار (شا شتر برنارد) chasterbanrad بأن مستوى المعقول لنطاق الاشراق يتراوح بين ٣-٩ أفراد وقد اشار الإمام علي عليه السلام إلى أربعة أفراد إذ تمتل في أطار الحكومات المعاصرة أربعة وزارات أساسية هي:

١- وزارة المالية: وما يرتبط بها من المديريات العاملة في تحصيل الأموال (الإيرادات) من الضرائب والرسوم.. الخ.

٢- وزارة الدفاع ووزارة الداخلية: وما يرتبط بها من قوى الأمن الداخلي وأجهزة الشرطة والأمن.

٣- وزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الصناعة والتجارة والزراعة والري والمديريات التابعة لها في استصلاح شؤون المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

٤- وزارة الاسكان والتعمير: وما ترتبط بها من المديريات العاملة.

في عمارة البلاد وتحسين المرتكزات المادية وتطوير البنية التحتية للاقتصاد الوطني والقومي كالطرق والمواصلات والخدمة العامة... الخ وهذا هو منطلق قاعدة الأشراف أو نطاقه ذو بعد أساسي في تمكين الوالي أو الحاكم من إدارة

شؤون البلاد وبصورة قادرة على استشراف أبعاد العمل الهادف في البناء والتطور واعمار البلاد وتحقيق أهدافها الاقتصادية والاجتماعية والحضارية.

ثانياً: ((أمره بتقوى الله وإيتاء طاعته وأتباع ما أمر به في كتابه في فرائضه وسنته التي لا يسعد أحد إلا بأتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها وأن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فأنه جل أسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه))، ولذا فأن التقوى لغد الوظيفة الأولى والأسية (Functin-Basic) التي ينبغي على الفرد أو المجتمع أن يلتزم بها سلوكياً ويعتمدها في التعامل مع الأخرين وفق سياقات هادفة في تدعيم البناءات القيمية للمجتمع كما أن التقوى التي ينبغي على الوالي أو أي فرد أن يعتمدها بالتعامل تستند وفق رؤيا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وفق قاعدتين:

أ) أتباع ما أمر الله به في كتابه الكريم حيث أن القرآن المجيد يشكل الإطار الفكري والفلسفي للعقيدة الإسلامية ومادتهاالأساسية.

ب) سنة نبيه الكريم، وتشكل السنة النبوية وأفعال الرسول، وأقواله الإطار التنظيمي عملياً وسلوكياً لرؤيا الإسلام الحنيف.

ثالثاً: ((أمره أن يكسر من نفسه عند الشبهات وينزعها عند الجمحات فأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله)) وهذه من القيم الإدارية أتحتها منطلقا هادفاً في ترصين الإدارة الواعية لبناء المنظمة الإنسانية العاملة، وتحقيق أمالاً شاملة في تطوير البنية الاجتماعية وخلق التماسك التنظيمي السديد سيما وأن تأكيد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

على ترويض النفس وجهادها إزاء الشهوات الدنيوية الزائلة ومنازعتها أمام المآرب والشهوات وما تنطوي عليه النفس من هوى يقودها إلى الضلالة والعمى عن حكمه الله سبحانه وتعالى وتحقيق ما يؤكده بكتابه الكريم وسنة نبيه، وعلى آله من قيم أخلاقية ومسلمات للغناء والزوال، أن هذه المسلمات التي حددها هي سبل هادف لبناء إداري منظم قادر على تسخير الطاقات الإنسانية لقيم الخير والاصلاح.

رابعاً: ((ثم اعلم يا ملك إني وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول متبلك من عدل وجور وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فكيف أحب النظائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فأن الشح بالنفس والأنصاف منها أحبت وكرهت))، يستدل من كلامه عليه السلام يوكد أهمية الاستفادة من تجارب الآخرين ممن سبقوه إذ ينبغي أن يستأصل الظلم والجور ويسير في إطار العدل والأنصاف سيما وأن العامة من الجمهور حينما يستدل لرية الحاكم أو أمير أنما ينظر اليه برؤيا جديدة ويتوق إلى مآرب إنسانية يسعد بها عند ذاك الحاكم أو غيره، فأن ذخيرة العمل الصالح تشكل هدفاً حقيقياً ينبغي على الوالي أن يعتمده في حياته إذ لا تبقى من المرء بعد الغناء إلا ذكرى العمل الصالح لتحقيق التوازن السليم في بناء المجتمع الإنساني واستقرار هو استمرار النجاح.

خامساً: ثم أمره ((أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سيعاً ضارياً تغتنم أكلهم فأنهم صنفان أما أخ

لك في الدين وأما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتي على أيدهم العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فأنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك، وقد أستكلفك أمرهم وابتلاك بهم)).

هذه الأوامر تتجلى بوضوح في فلسفة الإدارة ومعالم أبعادها الواضحة من خلال التركيز على أهمية شعور الوالي والمسؤولية الملقاة على عاتقه بينه وبين الله عز وجل في تنظيم شؤونهم والمحافظة عليهم كما أستدل الدكتور خضير كاظم حمود الذي يوضح فيه نظرية (Z) اليابانية[11] كما في الشكل أدناه يوضح ذلك.

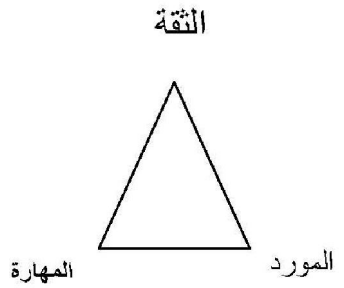

نظرية (Z) اليابانية
شكل رقم (١)

إن هذه النظرية عكست طبيعة العلاقة السائدة في المجتمع الياباني والتي جعلت فيه مجتمعاً أكثر تماسكاً وتطور إذ أنه يضع نصب عينه الابعاد الإنسانية في التعامل مع العاملين والمنظمات السائدة في إطارها، إما ما تحدث أبا الحسن عليه السلام فهو أكثر مشمولية بهذا المجال لا تتسع أية نظرية إنسانية في أبعادها للتعامل مع ا لجنس البشري، سيما وأنها أوضحت بتلك الصورة وهي:

(أخ لك في الدين وأما نظير لك في الخلق) ولو استعرضنا التاريخ منذ الأزل وحتى في الفلسفة اليونانية وفي جمهورية أفلاطون لم تصل إلى هذه المثل العليا الإنسانية التي تحدث بها مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام للبعد الإنساني أكثر عمقاً في التعامل وأكثر شمولية مع الرعية في ضوء الاخوة الإنسانية بين الدين والخلق والتكوين الجسدي كما لم يحدثنا الكتاب والمفكرون بوجود شخصية تاريخية أن تجمع بوحدة العقيدة كما تجمع معه وحدة الخلق والتكوين إلا في العقيدة الإسلامية، وهكذا ينضح من خلال الوصية أنفة الذكر بأن الله سبحانه وتعالى مالك الملك ويحتل الصدارة في الهيكل التنظيمي الإسلامي ثم والي أمر المسلمين وبعد أصحاب المسؤوليات الدنيا وهكذا نلاحظ أن للوالي أو المسؤول علاقات دنيوية تستمد صلاحيتها ومسؤولياتها من البناء التنظيمي تارةً وعلاقة أخروية تقترن بخشية الله وتقواه وهذه العلاقة إنما تعد ذا بعد تأثير في إعطاء الفرد أو الجماعة والمجتمع دوره الرصين في علاقاته مع ألآخرين إذ أن خشية الله وتقواه تدعو والي الأمر أن يكون أكثر اتزاناً في قراراته الإدارية والتنظيمية طالما أن الله جل وعلا هو المسؤول الأول في كل ما يعمله المرء أي كان موقعه في السلم التنظيمي وهو بهذا الأمر يكون أكثر إنسانية في القرارات المتخذة من قبله طالما أن الله سبحانه وتعالى دوراً في التأثير عليه في مستقبل حياته سواء تكان في الدنيا أو الآخرة.

سادساً: إن النواهي التي أشار إليها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مقطع هذه الوصية ((لا تنصبن نفسك لحرب الله فأنه لابد لك بقمه ولا غنى بك عن عضوه ورحمته، ولا تند من على عفو ولا تبجحن بعقوبةٍ ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن أني مؤمر فأطاع فأن ذلك إدغال في القلوب ومنهكة للدين وتقرب من الغير)).

إنما يدل على دلالات واضحة على ضرورات لابد من الاعتماد في انتهاجها والركون إليها إذ أنها بمثابة قواعد إدارية فاعلة في تحقيق المآرب الإنسانية والدلالات الواعية في قيادة الرعية وتحقيق أهدافها من ناحية ومن ناحية أخرى أنها تجنب القرار في ولوج ميادين من شأنها أن تعجل من نقمه الله وتسارع في إزالة نعمته ورحمته، إذ أن الوالي ينبغي عليه أن لا يناصب الله الحرب إذ أن المرء مهما أوتي من القدرات لا يقوي على مناصبة الله في عظمته وجبروته ومكره كما أن في الوقت ذاته لا غنى له من العفو والرحمة، وكذلك على الوالي أن لا يقول بفعل ما إلا أن يشاء الله في تحقيقه.

سابعاً: أشار في هذا المقطع إلى عظمة الله سبحانه وتعالى أن يهلك كل جبار ويهيمن كل محتال وهنا التأكيد ذو دلالات واضحة على تجنب الوالي هذه الصفات التي لا تتجلى إلا في عظمة الله وقدراته الخارقة في تسخير كل شيء بنظام سديد لا يأتيه الخلل.

((وإذ أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهه أو مخليه، فانظر إلى عظمة ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه نفسك، فأن ذلك يطأ من إليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويضيء إليك بما عزب عنك من عقلك وإياك ومسامات الله في عظمته والتشبه به في جبروته فأن الله يذل كل جبار ويهين كل محتال)).

ثامناً: أعتمد في هذا النص هو الا نصاف في الرعية وأن يسمع وعوة المظلومين وهو الله بالمرصاد للظالمين:

((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك هوى فيه من رعيتك، فأنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أو حض حجته وكان الله حربا حتى ينزع نقمته من إقامة على ظلم فإن الله يسمع دعوة المظلومين وهو

للظالمين بالمرصاد)).

تاسعاً: أشار أبا الحسن عليه السلام في هذا المقطع من النص هو إدارة المجتمع ومنظماته الإنسانية حسب تحليل القانون الحديث الذي يطلق عليه (الديمقراطية) أو حرية الرأي ويمثل في أحدى جوانبه خضوع الأقلية إلى رأي الأكثرية أو تحقيق رضا العامة من الشعب إذ لا مبالاة تذكر لسخط الخاصة من رضا عامة الناس من الشعب لا يغتفر مع رضا الخاصة للوالي وهذه إشارة إلى الأضرار التي شء لفشل إدارة المنظمات وشفاعتهم من الوالي.

((وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية فأن سخط العامة يجحف برضا الخاصة وأن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونه في الرخاء وأقل معونه له في البلاد، واكره للأنصاف، وأسأل بالإلحاف وأقل شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة وإنما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صفوك لهم وميلك معهم)).

عاشراً: أن الوصايا الواردة في أدناه تؤكد بشكل كبير على أهمية القيم وإرساء دعائمها بالشكل الذي يحقق الوالي دوره الرائد من قيادة المجتمع ولم دراته بالصورة المثلى التي من شأنها أن تتيح لكل الرعية الدور المنا بها في تحقيق أهداف المجتمع حيث تؤكد الوصية على عدم اعتماد الشخوص المتزلفين الدين يمارسون دورهم في إظهار معايب الناس والتشهير بهم وعلى الوالي أن لا يعتمد دورهم في هذا المجال إضافة إلى أن يكون للوالي دوراً ستر معايب الناس وعدم اعتماد السبل المختلفة للكشف عنها

ذاته من الحقد ويزيل رعيته عقده الخوف ووسائل الانتقام.

((وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوبا، الوالي أحق من سترها ولا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك بتطهير ما ظهر لك والله يحكم عما غاب منك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك أطلق عن الناس عقد كل حقد وأقطع عنك سبب كل وتر وتغلب عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن إلى تصديق ساع فأن الساعي غاش وان تشبه بالناصحين)).

حادي عشر: ((ولا تدل خلق في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفر ولا جبانا يضعفك عن الأمور ولا صريحاً يزيف لك الشهرة بالجور، فأن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله)).

تتجلى في هذه الوصية أهمية الشورى في إدارة المجتمع الإسلامي بشكل خاص ومن يمثل دور الشورى ينبغي أن لا يتسم بثلاث صفات ذات بعد مركزي في أنها تجمع رغم أخلاق أبعادها الغريزي بسوء الظن بالله سبحانه وتعالى.

ثم أنه عليه السلام وصف البخيل ومشورته تنطوي على عدول المرء عن الفضل وذلك لتخويفه من الفقر، كما أن الجبان غالباً ما يضعف المرء عن الأمور التي ينبغي للمرء أن يتخذ ازائها موقفاً شجاعاً وقرارا حازما، وكذلك الحريق من شأنه أن يزيدك شرها أي حرصاً شديداً ليكون ظلماً للرعية وأن هذه الصفات هي غرائز إنسانية مختلفة الابعاد لكنها تجتمع سوء الظن على كرم الله وفضله وعظمته آلائه ونعمته.

ثاني عشر: ركز (سلام الله عليه) في مقطع هذا النص على الوزراء

والمستشارين في بنية وتركيب الهياكل التنظيمية في الإدارة الإسلامية وضرورة اعتماد الأسس الاختبارية في التعيين والاختيار، إذ أن شر الوزراء من كانوا للأشرار وزراء سابقين إذ أن هؤلاء أسهموا مع قادتهم بظلم الناس والتعسف في حقوقهم وعدم الأنصاف والعدل معهم.

((شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانه، فأنهم أعوان الأئمة وأخوان الظلمة، وأنت وجد منهم خير الخلق ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليهم مثل أصارهم ووزرائهم وآثارهم ممن لم يعادون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونه وأحسن لك وعونه وأحنى عليك عطفاً وأقل لغيرك ألفا فأتخذ أولئك خاصة لخلواتك ثم ليكون أثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع)).

الثالث عشر: أشار الإمام علي عليه السلام إلى أهمية اعتماد أهل الورع والصدق كبطانه خاصة للوالي وينبغي أن لا يبجحوه أو يطروه أو يثنوا عليه بباطل لم يفعله إذ أن هذا الثناء والإطراء يدلى المرء من الزهو والغرور والعزة... الخ أن مثل هذه الصفات من شأنها أن تضعف الوالي وتقوده حتماً إلى الفشل في إدارة المنظمة التي يعمل بها إذ أن العزة لله جميعاً.

((وألصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فأن كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة، ولا يكونن المحسن والمسيء عندم بمنزلة سواء فأن ذلك تزهيدا لأهل

الاحسان في الاحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة والزم كلا منهم ما لزم نفسه)).

رابع عشر: أشار سلام الله عليه أبا الحسن عليه السلام في هذا النص ((وأعلم أن ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن والي برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراه أياهم على ما ليس لهم مثلهم فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فأن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلاً، وأن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلائك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية)).

ترتسم في هذه السطور من الوصية صورة مثلى من التعامل مع الرعية وإدارة أمرها عليه، إذ أن حسن الظن صفه ملازمة لنجاح العملية الإدارية بشكل مطلق حيث أن حسن الظن من علائم سلامة القلب وطهارته كما أن سوء الظن بالناس من لوازم خبث الباطن وقذارته وقد أشار بهذا الصدد يقول ((ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك فيه ولا تظن بكلمه خرجت من أخيك سواء وأنت تجدها من الخير محملاً)) ولذلك جاء التأكيد في هذه الوصية على أن حسن الظن يتحقق من كلا الجانبين.

الراعي والرعية بالإحسان لهم وتخفيف المؤونات عنهم وترك ما يكرهونه إليهم ولذا فان حسن الظن يقطع الجهد والنصب والتعب في المراقبة والمتابعة الحثيثة ولهذا فان مثل هذا التأكيد جاء مصداقا لرغبة جلية وجامحة في اعتماد السنن الصالحة التي جرت عليها صدور الامة من الاولين والسابقين واجتمعت عليها الالفة وصلحت في اطارها الرعية ان هذه المنطلقات الفكرية

والابعاد القيمية والاخلاقية الرائدة تشكل حجرا صلدا في البنية التركيبية للمجتمع الإسلامي تنظيما وتمكنه من احراز افاق التقدم والنجاح الهادف سيما اذا اطلق العنان في مجالات العمل الإداري له واسترشدت القرارات الإدارية في ضوء فكرة وفلسفته النيرة والتي جاءت رحمة للعالمين...

خامس عشر: تتسم هذه الوصية التأكيد على اهمية السنن الصالحة التي ارسى قواعدها الفكرية والسلوكية صدور الامة ممن سبق الوالي بالمسؤولية القيادية للمجتمع آنذاك ((ولا تحدثن بشيء من ماض تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها أكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح علية أمر بلادك واقامت ما استقام بها الناس قبلك)).

سادس عشر: واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى بعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس. ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حدة وفريضته في كتابة أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظاً.

لقد نظر الامام أبا الحسن عليه السلام نظرة ثاقبة ورؤيا ذات ابعاد في النهضة العصرية التي ينسجم مع احدث الدراسات البيئة المعاصرة في الطبقات الثمانية التي وصفها وهذا ينسجم مع دعاة البيئة من امثال المفكرين الذين اكدوا على أهمية البيئة بكل متغيراتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ومنهم

(March and Simon) وغيرهم.

سابع عشر: ((فا الجنود بأذن الله حصون الامة وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله له من الخراج الذين يقوون به على جهاد عدوهم ويعتمدون عليه بما اصلحهم ويكون من وراء حاجاتهم ثم لا قوام لهذين الا بالصنف الثالث من القضاء والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويئتمنون من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعاً الا بالتجار وذو الصناعات في ما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر مايصلحه وليس يخرج الوالي من حقيقته ما الزمة الله تعالى من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسة على لزوم الحق والصبر علية فيما خف علية أو ثقل))

يتضح مما ذكر أعلاه بان الطبقات الاجتماعية التي يتولى الوالي امورهم يعتمد كل منهم على الاخر اذ ان النظام الاجتماعي (Social system) يعتمد على حقيقة افرزتها نظرية النظام (system theory) فأن ذلك قائم يعتمد على اسلوب النظام الذي يتألف من اجزاء اصغر وهي جزء من نظام اكبر وهكذا نرى الامام علي عليه السلام اشار إلى هذه الحقيقة التي افرزتها الاتجاهات الإدارية الحديثة اذ اكدها بصور أكثر شمولية وعمقا حيث ان النظام الاجتماعي يتألف أساسا من طبقات مختلفة يعتمد كل منها على بعضها

ولا غنى لبعضها عن البعض الاخر باي شكل من الاشكال ولذلك فان الجنود تمثل الحصون الواقية للرعية

ثامن عشر: ((فولِ من جندك فانصحهم في نفسك لله ولرسوله ولأمامك واطهرهم جيباً وافضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى الغدر وبرؤوف الضعفاء وينبو على الاقوياء ممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف)).

ومن هنا يضع سلام الله عليه سبل اختيار الجند الذي يعتمد عليهم الوالي في تحقيق الامن والاستقرار داخليا وجهاد عدو المجتمع خارجيا ويضع قواعد الاختبار في السلوك

تاسع عشر: ((ثم الصق بذوي المروئات والاحساب واهل البيوت الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فأنهم جماع الكرم وشعب من العرف. ثم تفقد من امورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن لطفا تعاهدهم به وان قل فأنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الضن بك)).

لقد ترجم بهذه الوصية منزلة أهل البيوتات الصالحة والمروئات والاحساب والسوابق الحسنة كما في قول النبي صلى الله عليه وآله ((ان العرق دساس)) وهذا هو صلاح الوالي وصلاح المجتمع وللعاملين في تحقيق طموحاتهم وحاجاتهم التي يصلح بها المجتمع وتذوب في حيثياتها بوادر الخلل والتفكك وعدم الاستقرار.

عشرون: ((ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكاله على جسيمها فأن لليسير من لطفك موضعه ينتفعون به ولجسيم موقعة لا يستغنون عنه وليكن اثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوق اهلهم حتى يكون همهم واحدا في جهاد العدو فأن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولات امورهم وقلت استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم)).

لقد اكد بهذه الوصية بالنزعة الإدارية ذات بعد إنساني عميق حيث اكدت الدراسات العلمية في إدارة الافراد ((Personnel Management) وهو اشارة إلى الوالي الامر أو القائد الذي يتفقد صغائر اعمالهم دون الجسيم منها فأن له ابعاد ينتفعون بها بما يصلح احوالهم.

واحد وعشرون: ((فافسح في امالهم واواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى من ذوي البلاء منهم فأن كثر الذكر لحسن مغالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله، ثم اعرف لكل أمرئ منهم ما ابلى و ولا تضمن بلاء أمرئ إلى غيره ولا تقصرن به دون غابة بلاءه)).

إن صبت هذه الوصية على حقيقة تعد من القيم التي ينبغ التعامل بها مع الأفراد لكسب حسن ضنهم وولاءهم للمنظمة والمجتمع على حد سواء وهذا الأمر يتعلق بتحقيق طموحاتهم وامالهم وتوفير مستلزمات اشباع حاجاتهم المعنوية والاعتبارية، اذ ان حسن الثناء وتعداد المأرب الحسنة وتكرار التأكيد على العناصر الفاعلة في اطار الجماعات البشرية كذكرهم وذكر محاسنهم

واعمالهم وهو يشمل حقيقتين

أ. الثواب والجزاء المعنوي والمادي

ب. معاقبة المسيء لكي يكترث عن غية ومواقفة غير المنسجمة مع أهداف المنضمة التي يعمل بها وظلها

إذ ان ما يقال في اطار الحكم (اثابة المحسن معاقبة المسيء)

ان اتباع هاتين الحالتين تعدان من أهل الافاق التي تتعامل اهم المنظمات الإنسانية المعاصرة وخصوصا الحوافز المادية والمعنوية

ثاني وعشرون: ((ولا يدعونك شرف أمرئ إلى ان تعظم من بلائه كان صغيرا ولا ضعف أمرئ ولا تصغر من بلائه ما كان عظيما واردد إلى اهلة ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم ((يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فأن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)) فا الرد إلى الله الاخذ بمحكم كتابة والرد إلى الرسول الاخذ بسنتة الجامعة غير المفرقة)).

إن هذه الوصية تؤكد على ضرورة الأحكام وعدم الركون إلى مكانتة وشرفة ونسبة، بحيث مهما قام به المرء من شيء ان كان صغيراً يعظم ويروج له اعتماداً على مكانته وشرفة الاجتماعي والعكس إذا لم يكن جسيمة وعظيمة فأنها تستغل اعتمادا على ضعفة أو وضعة الاجتماعي.

ثالث وعشرون: ((ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يمادي في

الزلة ولا يحصر من الغي إلى الحق إذا عرفة ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون اقصاه واوقفهم في الشبهات واخذهم بالحجج واقلهم تبرماً يمرا حجة الخصم، واصبرهم على تكشف الامور واصرهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء واولئك قليلين)) .

اتسمت هذه الوصية بإيراد عدد من السمات التي ينبغي ان يتصف بها من يتم اختياره للحكم أو القضاء وتلك السمات أو الصفات تعد بمثابة مؤشرات ذات ابعاد موضوعية ينبغي ان يركن اليها الوالي عند الشروع باختيار العاملين في الحكم والقضاء وقد حدد صفات الذي يتولى الحكم.

رابع وعشرون: ((ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته إلى الناس، واعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيرة من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغا فأن هذا الدين كان اسيرا في أيدي الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب فيه الدنيا)).

أشار في هذه الوصية إلى اكتفاء الذاتي للحكام والقضاة واعطاهم المنزلة التي لا يستطيع ان يحققها احد من الخاصة بالوالي إذا ان هذه المنزلة الرفيعة لدى الوالي.

خامس وعشرون: ((وانا اسال الله سعته رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح إلية والى خلقة من

حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة و ان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، انا إلى الله راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله)).

وقد ختم الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام بالدعاء لله سبحانه وتعالى في شموله سعة رحمته وعظيم قدرته بإعطاء كل ذي حق حقه واعطاء كل سائل ما سأله كما يسأله ان يوفقه بالإقامة على الجهاد في تحقيق رضا الخالق سبحانه وتعالى وذلك بحسن الثناء بالعباد وجميل الاثر في البلاد وان يختم له ولنا ولكل المؤمنين بالسعادة والشهادة والصلاة والسلام على رسول الله واله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين ومن سار على نهجه القويم إلى يوم الدين.

إن ما ورد في هذه الوصية والتي تمثل وثيقة تاريخية شاملة وكاملة وتنطوي على صور ذات دلالات وابعاد واضحة المعالم والاثر تكمن حقيقة الإدارة والأصالة السياسية التي تتأطر في جوهرها حيث اننا اختزلنا في بحثنا هذا الكثير من الوصية واذا اردنا البحث بإسهاب لربما نحتاج إلى دراسة شاملة لا تستوعب هذه الاوراق وفي هذا لمؤتمر الذي حدد الوقف والبحث وبدورنا هناك يمكن تخليصها في جوهرها حقيقتان هما.

١- **البعد الروحي:** ويمثل كافة الابعاد القيمية والاخلاقية والسلوكية التي تعتبر عن جوهر الدين الإسلامي الحنيف وحقيقة الإنسانية المتمثلة بتقوى الله وتحقيق مرضاته سبحانه وتعالى وتلك القوى التي تشكل العلاقة المثلى روحياً بالخلق وبتقوى الله سبحانه في غرضين

أ. الخوف ويمثل خشية الله وتجنب عقابه في الدنيا والآخرة.

ب. الطمع ويمثل التوجه لله سبحانه وتعالى لنيل رضاه وحصول ثوابه.

ج. ان هذه البعدين يمثلان حقيقة التقوى التي ينبغي على المسؤول أي كان موقعة ان يتحلى بهل ويسير بمقتضاه اخذ بنظر الاعتبار قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته وان يعتمدها في اداء مسؤولياته مهما كبرت أو صغرت ويأخذ الجانب الروحي للتقوى بنظر الاعتبار بينة وبين الخالق العزيز الجبار.

٢- **البعد المادي:** ويتمثل بكافة الابعاد والأهداف الملموسة والمحتسبة والتي يسعى المسؤول لتحقيقها عبر الإجراءات الإدارية والتنظيمية القائمة ولغرض تحقيق تلك الأهداف بشكل سليم لابد من خلق توازن هادف بين البعدين الروحي والمادي وذلك الاتجاه يمثل نموذج الفكر الإداري بالإسلام والذي أكدته تلك الوصية وذلك فان الشكل التالي أدناه يمثل الفكر الإداري في الإسلام، كما جاء في السياسة الإدارية في فكر الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام.

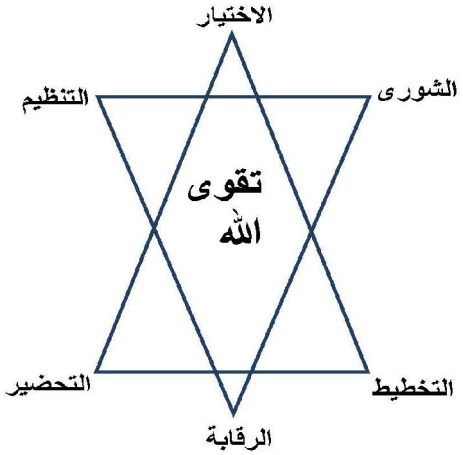

إن ما تقدم في تحليل الفكر الإداري وتلك الأصالة في المراحل التاريخية الممتدة من القرن التاسع عشر ولحد الآن يتضح بأن هناك إجماعا مؤكدا

بين الباحثين والمفكرين والاختصاصيين بشأن الوظائف الإدارية والتي يمارسها كل مدير أو مسؤول مهما كان مستواه في الحقل التنظيمي وتتضمن ما يلي:

١. التخطيط

٢. التنظيم

٣. الرقابة

٤. التحضير

٥. تكوين وتنمية الإداريين

يظهر من ذلك ولا شك فيه ان الوظائف الإدارية المذكورة أعلاه تتمخض عن دراسات وصراعات فكرية وفلسفية ومدار إدارية وتنظيمية امتدت منذ أواخر القرن التاسع عشر ولحد نهاية القرن العشرين لإنتاج ثمرة الإدارة التنظيمية إلا أنها لم ترتقي إلى ما طرحة الفكر الاقتصادي الإسلامي من خلال المعرفة التي وجدت في فكر الإمام علي عليه السلام، وبدورنا نقول ان هذه الدراسة البحثية الموجزة في آفاق الإدارة الإسلامية واننا قد توخينا الولوج في شرح أبواب أخرى، وسعينا لنيل رضا الله أولاً ولمرضها ما الهمة الفكر المعرفي الإسلامي عبر الحقبة الماضية رغم قصر المدة التي تسلم فيها الإمام أبا الحسن عليه السلام الخلافة الإسلامية والتي لم يذكرها التاريخ، أي باحث أو كاتب وجود مجاعة رغم الحروب التي شنت على خلافته، أنها نهاية رضا الله سبحانه وتعالى، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

ـ الوصية ـ

((وصيه الإمام علي عليه السلام إلى مالك الاشتر رضي الله عنه)).

كتاب الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر لما ولاه مصر كتب الإمام علي عليه السلام كتاباً إلى الصحابي الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه) لّما ولاّه مصر، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولاّه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه، من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلاّ باتباعها، ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنّه جل اسمه، قد تكفّل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزه.

وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات، ويزعها عند الجمحات، فإنّ النفس أمارة بالسوء، إلاّ ما رحم الله.

ثمّ اعلم يا مالك! إنّي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنّما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشح بنفسك عمّا لا يحل لك، فإنّ الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت.

وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، (فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق)، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن

يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك! وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم.

ولا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنّه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن: إنّي مؤمر أمر فأطاع، فإنّ ذلك ادغال في القلب، ومنهكة للدين، وتقرّب من الغير، وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك.

إيّاك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإنّ الله يذل كل جبّار، ويهين كل مختال.

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصّة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنّك إلا تفعل تظلم! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته، وكان لله حرباً حتّى ينزع أو يتوب.

وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإنّ سخط العامّة يجحف برضى الخاصّة، وإنّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضى العامّة.

وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل(الخاصّة).

وإنّما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدّة للأعداء، (العامّة من الأمّة)، فليكن صغوك لهم، وميلك معهم.

وليكن أبعد رعيتك منك، وأشنأهم عندك، أطلبهم لمعائب الناس، فإنّ في الناس عيوباً، الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عمّا غاب عنك منها، فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك.

أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر، وتغاب عن كل ما لا يتضح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإنّ الساعي غاش، وإن تشبه بالناصحين.

ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظن بالله.

إنّ شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة، فإنّهم أعوان الأثمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممّن لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك إلفاً.

فاتخذ أولئك خاصّة لخلواتك وحفلاتك، ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك، وأقلّهم مساعدة فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع.

والصق بأهل الورع والصدق، ثمّ رضهم على ألا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإنّ كثرة الإطراء تحدث الزهو، وتدني من العزة.

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة ! وألزم كلاّ منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبله.

فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإنّ حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً، وإن أحق من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده.

ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمّة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنّة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها.

وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أنّ الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلاّ ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامّة والخاصّة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة الناس، ومنها التجّار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه، ووضع على حدّه فريضة في كتابه أو سنّة نبيه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود، بإذن الله، حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلاّ بهم، ثم لا قوام للجنود إلاّ بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدّوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم،

ويكون من وراء حاجتهم.

ثمّ لا قوام لهذين الصنفين إلاّ بالصنف الثالث من القضاة والعمّال والكتّاب، لما يحكمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها.

ولا قوام لهم جميعاً إلاّ بالتجّار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم.

ثمّ الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلاّ بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل، فوّل من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممّن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممّن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف.

ثمّ الصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثمّ أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة، فإنّهم جماع من الكرم، وشعب من العرف.

ثمّ تفقّد من أمورهم ما يتفقّد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به، ولا تحقرن لطفاً تعاهدهم به وإن قل، فإنّه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك، ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها، فإنّ لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

وليكن آثر رؤوس جندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتّى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدو، فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعية.

وإنّه لا تظهر مودّتهم إلاّ بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلاّ بحيطتهم على ولاة الأمور، وقلّة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدّتهم، فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإنّ كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع، وتحرض الناكل، إن شاء الله...، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، (إنا إليه راجعون)، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

هوامش البحث

(١) نَص العهد إلى مالك الاشتر.
(٢) الراعي والرعية/ ص ٧٤.
(٣) نهج البلاغة/ ص ٣١٧.
(٤) أهل البيت تقع ٣ دورات ووحدة الهدف ص ٦ محمد باقر الصدر.
(٥) نهج البلاغة. صبحي الصالح ص ٥٧.
(٦) شرح نهج البلاغة/ م ١٧ ص ٧٠.
(٧) نص العهد إلى مالك الأشتر.
(٨) نص العهد إلى مالك الأشتر.
(٩)الإمام علي صوت العدالة الإنسانية/ ج ١، ص ١٨٩.
(١٠)
(١١) السياسة الإدارية في فكر الإمام علي عليه السلام.

قائمة المصادر والمراجع

١- (نهج البلاغة) للشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام تحقيق وشرح محمد أبي الفضل إبراهيم ١٩٩٦ بيروت دار الجيل.

٢- العولمة عند الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام تأليف عدنان الياسري.

٣- الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام روح الإسلام الخالد، تأليف أ. د حسن الحكيم.

٤- بحار الندى ومصابيح الدجى علي ابن أبي طالب عليه السلام، تأليف مائدة حسن الربيعي.

٥- السياسة الإدارية في فكر الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام بين الأصالة المعاصرة، تأليف أ.د خضير كاظم حمود

٦- الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام من المهد إلى اللحد، تأليف محمد كاظم القزويني.

٧- في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام دراسة في ضوء نهج البلاغة، تأليف عبد الرضا الزبيدي.

٨- الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام رائد العدالة الاجتماعية و السياسية على ضوء تقرير الأمم المتحدة، تأليف قاسم خضير عباس.

٩- الأحكام السلطانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٨.

١٠- الراعي والرعية، تأليف توفيق الفكيكي.

١١- الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام نظرة عصرية جديدة، تأليف د. محمد عمارة.

١٢- السلوك التنظيمي دراسة السلوك الإنساني الفردي و الجماعي في المنظمات الإدارية، دار الشروق عمان ١٩٩٢.